ابستيمولوجيا المصطلح النقدي وابعاده التداولية

Epistemology of the critical term and its pragmatic dimensions

بن لحسن عبد الرحمان*

جامعة طاهري محمد بشار، الجزائرbenlahcene.abderrahmane@univ-bechar.dz

تاريخ الاستلام: 2022/05/16 تاريخ القبول: 2022/06/02 تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص :

إن التحليل الأدبي لا يستقيم في غياب مصطلح نقدي واضح ومحدد في مفهومه ورؤيته وخلفياته الاستمولوجيا وحقل تداوله المعرفي والنقدي، وكل ذلك إن لم يكن يشكل وعيا علميا صارما يكون بمثابة الأداة الإجرائية نقارب بها النص على قدر من العلمية والمعرفة المتخصصة سنكون أمام فوضى عارمة تبعدنا تماما عن حقل الممارسة النقدية الرزينة التي تحتكم في جميع أبعادها المعرفية والاصطلاحية والتداولية والنقدية إلى البعد النظري والإجرائي للمصطلح ونصطدم بإشكالية عويصة تعوق رؤيتنا وتضعف إمكاناتنا في قراءة نقدية ترتهن إلى البعد العلمي النقدي الذي يتأسس عليه المصطلح ويفقد التحليل جدواه ويسقط في متاهة النظر الانطباعي والتحليل الذاتي الذي يشوه النصوص ويجردها من الرؤية الفكرية والقيم الجمالية التي تتمتع بها ومن ثم يتحتم على المشتغلين بحقل المصطلحية أو علم المصطلح أن ينتبهوا لهذه الإشكاليات المنهجية بالدراسة والبحث حتى يتمكن الباحث والناقد من استيعاب المصطلح النقدي والتحكم في مفاصله تحكما دقيقا ليتحول في يده إلى آلية تحليلية علمية تساعده على بناء رؤاه النقدية بناء سليما يفضي إلى نتائج سليمة .

الكلمات المفتاحية :

المصطلح ، الترجمة ، المفاتيح ، المنهجية ، الدلالة ، العولمة ، التواصل ، الثقافة ، المعجم ،المفردات

Abstract :

المؤلف المرسل*

Literacy text lacks accuracy when there are no clears terms as regards in concept ,vision , epistemological aspect and the scientific of its application thus . we be on thorough chaos that woold refrain us from practising criticism scientifically if we did not have the equivalent tool able of making a literacy text more explicit we woold also face different problems expending our vision and weakening our capacities of doing scientific critical reading . hence , our analysis woold be more subjective thereby rendering our unsightly.

Terminologist shoold be aware of these methodological problems while studing or doing research so that the researcher or critic would master the term in critics accuracy and having an analytical scientific tool in his hands enabling him to construct view and good results .

Keywords :

Terminology, translation, keys, methodology, semantics, globalization, communication, culture, lexicon, vocabulary

مقدمة:

أصبح المصطلح وتحديده وطرق تعلمه يشغل فكر الكثير من العلماء على اختلاف تخصصاتهم لتسارع التطور العلمي والتكنولوجي من ناحية، وتقدم الأبحاث والدراسات من ناحية أخرى. ولذا يجب مواكبة ما يحدث في العالم وإلا يعد تقصيرا منّا .

وفي الواقع إننا أمام كمّ هائل من المصطلحات نقف أحيانا عاجزين بشكل أو بآخر أمامها. وهذا إشكال تعاني منه الجامعة بصورة تعيق محاولة تحرير الطالب من درجة استقبال المعلومات فحسب إلى درجة الإدراك ، ولم لا إلى النقد.

والطالب يستقبل يوميا في إطار المواد المدرسة عددا لايُستهان به من المصطلحات اللسانية المؤسسة لمدارس لسانية أجنبية، فغالبا ما نلجأ إلى تعريب هذه المصطلحات، وفي أحيان أخرى نحاول ترجمتها ترجمة يجمع عليها الكثير من الدارسين أنها تتسم بالفوضى وعدم الانضباط ، ويقول في هذا الصدد عبد القادر الفهري: "فأعتقد أن أهم ما يتسم به وضع المصطلح هو طابعها العفوي، وهي عفوية لا تقترن بمبادئ منهجية دقيقة وباكتراث بالأبعاد النظرية للمشكل

المصطلحي، وقد قادت هذه العفوية إلى كثير من النتائج السلبية، وفي مقدمتها الاضطراب والفوضى في وضع المصطلح، وعدم تناسق المقابلات" * (1).

فالمصطلحات مفاتيح العلوم .فما من علم إلا وله منظومة من المصطلحات تشكل جزءا مهما من بنيته النظرية . وما من سبل إلى سبر أغوار العلوم إلا التوسل بمنظومتها المصطلحية إذ المصطلحات هي مجموعة الدوال التي تكون مدلولاتها مضمون العلوم، فالشحنة الدلالية التي يحملها المصطلح تفوق بكثير ما تحمله اللفظة غير الاصطلاحية، فالمصطلحات هي نصوص مكبوسة، ولا يمكن لعلم أن ينمو ويتطور مالم يتمتع بمنظومة من المصطلحات كفيلة بتغطية شاملة لمضامينه، فهي خلاصات القول ورحيق المعارف ولغة العولمة وأبجديات التواصل المعرفي. وملتقى الثقافات الإنسانية، ومختصر لحقل معرفي يغنينا عن الشرح والتفسير .

- فهو علم ينحدر من صلب علم المعاجم (علم المفردات) يضطلع بدراسة المصطلحات دراسة منهجية عامة.

إن صياغة أي مصطلح تخضع لثوابت معرفية مطلقة ولنواميس لغوية عامة تتعلق جميعها بطبيعة العلاقة المعقودة بين كل علم من العلوم ومنظومته الاصطلاحية على الرغم من وجود قواسم مشتركة تحكم قضية توليد الألفاظ الدالة على المصطلح في اللسان البشري الواحد ، فإن لكل علم خصوصيات تميزه من علم لآخر ....(ينظر عبد السلام المسدي ، المصطلح النقدي ص: 12)

- فاصطلحوا بالمعنى اللغوي هو نسيان ما كان والعمل على إقامة علاقة جديدة تغطي ما كان من خلاف وعداء، وينطبق ذلك على المصطلح الذي يُنقل من معناه اللغوي إلى حقل استعماله فيستقر، ولعلّ مل أورده الجاحظ في كتابه البيان والتبيين يوضح ببساطة شديدة ذلك، مع ما للقول من أبعاد أخرى، يقول:" إن ما سُمي شوال شوالا إن النوق شالت بأذنابها فيه، فإن قال قائل: قد يتفق أن يكون شوال في وقت لا تشول الناقة بذنبها فيه، فلم يبق هذا الاسم له سمة ، حيث اتفق أن شالت النوق بأذنابها فيه، فبقي عليه كالسمة " (2).

يعتبر المصطلح دليلا لسانيا يتشكل من لفظ ومفهوم، يقوم الأول بتجديد الثاني، لكن تبقى المفاهيم اللسانية غير واضحة ومحددة لاحتوائها على أبعاد فلسفية يصعب إدراكها إلا من خلال السياق الواردة فيه ونجده أحيانا – المصطلح اللساني – يعاني من التعدد واللاستقرار المنعكس بصورة واضحة في مجالات تطبيقية .

تتجاذب علم المصطلح اختصاصات علمية شتى كعلم الدلالة وعلم المفردات وفقه المعاجم والنقد الأدبي وعلوم أخرى، وهناك تصانيف تراثية تطرقت إلى المصطلح بمرادفات لعناوين: كمفاتيح العلوم للخوارزمي ومفتاح العلوم للسكاكي والتعريفات للجرجاني وكذلك وُظفت مفردات تمتّ إلى المصطلح منها: الاصطلاحات، الحدود، المفاتيح، الأوائل، التعريفات، الكليات، الأسامي، الألقاب، الألفاظ ، المفردات وغيرها .... (ينظر إشكالية المصطلح د يوسف وغليسي.)

يقول عبد السلام المسدي في كتابه المصطلح النقدي ص :11 " تعمّد الحديث في أي فن معرفي بتحاشي أدواته الاصطلاحية يمثل ضربا من التشويه لا يُتغاضى عنه ".

إن وقوفنا على جملة من هذه المصطلحات اللسانية العربية التراثية لا يزيدنا إلا يقينا بأصالتها وثقة بهذه اللغة التي بوسعها أن تعبر عن أي مولود لساني جديد ، إذا وجد لساني يُدرك المدرَك العلمي لهذا المولود في لغته الأصلية ويدرك البعد المعجمي والمنحى الدلالي لما يريد أن يقابله به في اللغة العربية . (انظر : في رحاب اللغة العربية ، عبدالجليل مرتاض).

- فكثيرا ما تختلف الرؤى بين المصطلحات والمفاهيم وتتداخل فيما بينها، ومن الصعوبة بمكان التمايز بينها، وفك شفراتها، وقد يكون المعنى متقاربا ومتشاكلا ومتزاحما يصبّ في منحى واحد أو يتقاطع في تفسير هذا أو ذاك .

- وإن كان لا بد فإن المصطلح (منهجا ومفهوما) من المفاهيم الحديثة التي وقع حولها وعليها جدلٌ ونقاشٌ واسع في تبيانها وتوضيح دلالاتها وممارسة توظيفها .

- فأزمة المصطلح تعدّ إشكالا في العلم العربي خاصة منها الترجمة والألفاظ الشائعة التي نريد إسقاطها على الأدب العربي ، فأزمة عانى وما زال يعاني منها كثير من كتابنا ومثقفينا ، وقد تبدو هذه القضية بسيطة غير جديرة بالاهتمام إلا أنها تعكس اتجاها خطيرا وخبرة لم نقدر على تجاوزها ، وأحيانا تمزقا إلى أكثر من اتجاه واحد .

* وقد ألف د يوسف وغليسي كتابا من 543 صفحة حول إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي، وكذلك المجلس الأعلى للغة العربية أصدر مجموعة من المقالات حول المصطلح جمعت في كتاب يفوق 577 صفحة، ود عزت محمد جاد ، نظرية المصطلح النقدي بحجمه الضخم 514 صفحة.

* وكثير من الوحدات المصطلحية للقاموس النقدي العربي لا تزال لم تستقر وقد ذكر جول ماروزو خلال أربعينيات القرن الماضي وأعلن خرافية توحيد المصطلحات الألسنية وذلك قبل طرح إشكالية المصطلح وتضخيمه، خصوصا حين تهاجر المصطلحات من بيئة لغوية إلى بيئة مغايرة لغويا وحضاريا.

- ويدرك الناقد عبدالمالك مرتاض إدراكا عميقا أن المصطلح ابن بيئته التي نشأ في رحابها وهو جنين، وانطلاقا من هذه المسلَّمة يرى أنه لا يجوز لنا اقتطاع المصطلح من هذه البيئة التي أوجدته والاختلاء به بعيدا لنعبث به عبثا شديدا .

- بيد أن اختلاف علماء المنطق دفعهم إلى الاتفاق على أنهم لا يستطيعون تحديد المصطلحات تحديدا جامعا مانعا ، ولكنهم يستطيعون ضبط هذا التحديد الذي يقوم على
العلاقات والوظائف ويعرف هذا النوع من التحديدات بالتحديدات الاسمية أو التشييدية(3)* . فصعوبة حياة المصطلح تكمن في استمرارية وجوده أو مدى مقبوليته ، فهناك عوامل عديدة تتحكم في حياة المصطلحات منها :

1- توحيد المصطلحات : لا شك أن توحيد المصطلحات من العوامل المساعدة على بقائها لأن التوحيد يعمل على تواترها استعمالا ، والتواتر يجعلها عادة

ويتجاوز بها إشكالية التذكر المتعلقة بربط الدال بالمدلول فيصير مجرد ذكر المصطلح كافٍ لاستحضار معناه .

2- نشر المصطلح من خلال الهيئات الرسمية ، والعمل على ترويجه من خلال وسائل الإعلام والبحوث الأكادمية ونتاج الباحثين " إذ الاستعمال الفعلي هو الذي يرسخ المصطلح إذ لا يكفي استنباطه مع عدم تداوله ." (4)

أن المصطلح اللساني العربي كغيره من المصطلحات الأخرى موزع بين نوعين من الاصطلاح :

1- الاصطلاح الداخلي : أي الاصطلاح الأحادي اللغة العربية ، فهو يرتكز في تشكله على المصطلحات التراثية (النحو، البلاغة، فقه اللغة) وهذه المصطلحات هي نتاج فكري ومعرفي في حقبة تاريخية معينة من تاريخ تشكل الفكر العربي .

2-الاصطلاح الخارجي: وهو المصطلح المتعدد اللغات الذي يستمد مادته الأساسية من اللغات الأجنبية عن طريق الترجمة والتعريب .(5)

- إن تطوير علم المصطلح في الوطن العربي قد اضطلعت به مجامع اللغة العربية ومنها : مجمع دمشق 1919، ومجمع القاهرة 1932، ومجمع بغداد 1947، ومجمع عمان 1976، والمجمع السعودي 1983، ومجمع الجزائر 1986، واتحاد المجامع العربية 1970، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط 1969، وما لمجلته الرائدة "اللسان العربي " من دور ريادي في هذا الشأن، والجمعية المعجمية التونسية ومجلتها " المعجمية " 1985 التي يديرها الدكتور رشاد الحمزاوي صاحب النشاط الاصطلاحي المتميز تنظيرا وممارسة، وكذلك نشاط الدكتور عبد الرحمان حاج صالح في الجزائر رئيس المجمع الجزائري صاحب " مشروع الذخيرة اللغوية " الذي باركته المجامع اللغوية العربية وصاحب الفضل المشهود على معهد العلوم اللسانية والصوتية بجامعة الجزائر 1966 ومجلته " اللسانيات " التي اختفت ، وكذلك نشاط الدكتور عبد المالك مرتاض رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر (1998-2001) ومدير مجلة اللغة العربية .(د يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ص 30 .)

* وظائف المصطلح : وللمصطلح وظائف :

1- الوظيفة اللسانية : عبقرية اللغة ، جذورها المعجمية ، المفاهيم المتحددة .

2- الوظيفة المعرفية: لغة العلم والمعرفة (مفاتيح العلوم) (أوائل العلوم)، مجموعة مصطلحات، المسلمات اللغوية .

3- الوظيفة التواصلية: مفتاح العلم، أبجدية التواصل، نقطة الضوء الوحيدة التي تضيء النص حينما تتشابك خيوط الظلام .

4- الوظيفة الاقتصادية : تخزين كمٍّ معرفي في وحدات مصطلحية محدودة ، والتعبير بالحدود اللغوية القليلة عن المفاهيم المعرفية الكثيرة (اقتصاد في الجهد واللغة والوقت).

5-الوظيفة الحضارية : اللغة الاصطلاحية لغة عالمية بامتياز ، ملتقى الثقافات الإنسانية وهي جسر يربط لغات العالم (لغة العولمة).

اللغة الاصطلاحية:

اللغة الاصطلاحية تفقد فاعليتها التواصلية خارج سياق أهل الاختصاص، فهي لغة نخبوية لا يمكن استعمالها مع عامة الناس الذين لا يستطيعون استقراءها، وقد ذكر الدكتور يوسف وغليسي في كتابه" إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث" منشورات الاختلاف الجزائر الحكاية الطريفة التي أوردها أبو حيان التوحيدي في " الامتناع والمؤانسة" : " وقف أعرابي على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معه فحار وعجب وأطرق ووسوس، فقال له الأخفش: ما تسمع يا أخ العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس في كلامنا ".

وقد علق عليها الدكتور عبد الله الغدامي بقوله :" تلك كانت حال فصيح أعرابي صدمته لغة الاصطلاح وأوحشه أن يرى اللغة تتكلم بعد أن كان يعرف أن اللغة تتكلم عن الناس والأشياء."(6).

يبدو جليا أن عبارة ذلك الأعرابي إنما تتهجى إلى ثلاثة مفاصل أساسية :

1- التكلم بالكلام العربي (لغة الحديث) .

2- التكلم في الكلام العربي (موضوع الحديث).

3- التكلم بما ليس من الكلام العربي (اللغة الاصطلاحية بين أصالة الدال وغرابة المدلول) .

* فالتركيبة المفهومية للمصطلح ينبغي أن تحلّل الفوارق بين " ما هو مصطلح به وما هو مصطلح عليه وما هو مصطلح له ." (7)

* يمكننا أن نلاحظ تقاطعا واضحا بين هذه العناصر الثلاثة وبين المفاصل الثلاثة في عبارة الأعرابي، مثلما نلاحظ أن صدمة الاصطلاح بلغة الغدامي تحدث حين يعمد أهل الاختصاص المعرفي إلى إفراغ المصطلح (أي الحد الاصطلاحي) من ذاكرته اللغوية المشتركة، وملئه بدلالة مفهومية جديدة (بما ليس من كلامنا)، فإذا حاول الدخيل عن هذه النخبة أن يفهم هذه اللغة الاصطلاحية مستعينا بذاكرتها المعجمية الأولى اعتاص الأمر عليه وارتد حسيرا ، ووقع له ما وقع لذلك الأعرابي في مجلس الأخفش .

* إن التعامل العامّي مع المصطلح كأي وحدة معجمية (كلمة) عادية لا جدوى منه، ولا يفضي إلا إلى مزيد من الطرافة الساخرة على نحو ما تؤكده الحكاية الطريفة الأخرى التي تعزى إلى الأصمعي في حواره الاصطلاحي (النحوي) مع أعرابي (يمثل البراءة اللغوية وعذرية الذهن الذي لا تشوبه شائبة اللغة الاصطلاحية)، يقول الأصمعي: " قلت لأعرابي : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إني إذاً لرجل سوء، قلت له : أفتجر فلسطين ؟ قال : إني إذاً لقوي " (8).

- إنه حوار الطرشان الذي لا طائل منه بين عالم متخصص يصطنع لغة الاصطلاح: النحو (الهمز والجر) وأعرابي من عامة الناس لا يقيم فرقا بين المصطلح المتخصص والكلمة العادية، فهو لايفهم من الهمز غير دلالات السب والشتم والطعن، ولا يفهم من الجر غير السحب والجذب.

الإحالات :

1- - عبد القادر الفاسي الفهري-اللسانيات واللغة العربية، ص 396.

2- البيان والتبيين 169/1 الجاحظ .

3- محمد مفتاح، المفاهيم معالم، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ص7.

4- محمد ديداوي، علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1992، تونس، ص414.
5- الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الرباط، المغرب، 1982، ص 225.
6-عبد الله الغدامي، ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، ط 2، دار سعد الصباح، الكويت 1993، ص94.
7- عبد السلام المسدي، الالتباس المعرفي، قضايا المصطلح الأدبي، مكتبة القاهرة الكبرى، 1998، ص17.
8- ابن عبد ربه الأندلسي، كتاب العقد الفريد، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، دت، شرح وضبط وترتيب إبراهيم الأنباري، ص477.

المصادر والمراجع:

1. ابن عبد ربه الأندلسي، كتاب العقد الفريد ج1، دار الكتاب العربي بيروت، دت، شرح
وضبط وترتيب إبراهيم الأنباري .
2. الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، ط 3 ، دار الجيل، بيروت.
3. عبد السلام المسدي، الالتباس المعرفي وتبرئة المصطلح ضمن ملخصات أبحاث مؤتمر:
قضايا المصطلح الأدبي، مكتبة القاهرة الكبرى 1998.
4. عبد القادر الفاسي الفهري-اللسانيات واللغة العربية، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، عن
مقال: بين المفهوم والمصطلح، الجزائر 2004 ، المصطلح اللساني نموذجا، أ.بوعناني سعاد آمنة جامعة وهران.

5. عبد الله الغدامي، ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، ط 2، دار سعد الصباح، الكويت 1993.
6. الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الرباط، المغرب، 1982.
7. محمد ديداوي، علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1992، تونس.
8. محمد مفتاح، المفاهيم معالم ، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت.